محاضرات مادة التذوق والنقد الفني

المحاضرة السادسة : المنهج النفسي في النقد

بدأ هذا الاتجاه النقدي في مطلع القرن العشرين وهو توجه نقدي جاء أساسا من عيادات الأطباء وتجاربهم وخصوصا دور العالم النفسي النمساوي (سيغموند فرويد) الذي يعد أبرز رواد هذا الاتجاه النقدي , حيث استعان فرويد بالأدب والفن في دراسة النفس البشرية في علاج مرضاه , فقد كان فرويد محبا للفن والأدب وكثير الاعجاب بالكتاب والشعراء لا سيما أولئك الذين كانت لديهم خبرة بالنفس الإنسانية المرضية والسوية على حد سواء , وفي توضيح لبعض الآراء والأفكار التي كان يطرحها فرويد لا سيما ما يتعلق بموضوع (اللاوعي) الذي عده المخزن الخلفي غير الظاهر للشخصية الإنسانية والمتضمن للعوامل الفعالة في السلوك والإبداع والانحرافات الشاذة وانعكاس تلك الأفعال المختلفة على الشخصية , وقد توصل فرويد إلى أن الكبت يمثل صراع بين رغبتين متضادتين ، وأن هناك نوعين من الصراع واحد في دائرة الشعور تحكم النفس فيه لإحدى الرغبتين وتترك الثانية وهو الطريق الطبيعي للرغبات المتضادة دون اضرار النفس , بينما النوع الاخر هو المرضى حيث تلجأ النفس بمجرد حدوث الصراع إلى صد وكبت إحدى الرغبتين عن الشعور دون التفكير واصدار حكم فيها لتستقر في اللاشعور بكامل قوتها منتظرة مخرج لانطلاق طاقتها المحبوسة .

أبرز توجهات المنهج النفسي

١- البحث في عملية الخلق والإبداع الفني وبيان العوامل الشعورية واللاشعورية التي تتشكل من خلالها .

٢- الدراسة النفسية للفنانين والأدباء لبيان العلاقة بين مواقفهم واحوالهم الذهنية وبين نتاجاتهم الفنية والأدبية حيث تتبين للباحث العلاقة بين سيرة المبدع وبين نتاجه الإبداعي والتي من خلالها يستطيع الباحث تفسير تلك الأعمال .

٣- دراسة العلاقة بين الفن والأدب وعلاقتها بالمتلقي وبيان تأثيراتها المختلفة عليه .

عملية الإبداع الفني

يمثل العنصر النفس دورا أساسيا في الفن والأدب حيث أن الفن والأدب يمثلان في جوهرهما تجربة شعورية وهما استجابة نفسية معينة , وقد ذهب فرويد إلى أن عملية الخلق الأدبي والفني تتحدد وفق ثلاث أنشطة بشرية هي (اللعب , التخيل , الحلم) , حيث أن الإنسان يلعب طفلا ويتخيل مراهقا ويحلم احلام يقظة وأحلام نوم , وبحسب فرويد فأن الإبداع الفني يتمثل من خلال هذه الأنشطة , فالطفل عندما يلعب يصنع عالمه الخاص والذي ينظم به اشياءه التي توافق هواه , واللعب في نظر فرويد ليس ضد الجد وإنما هو ضد الواقع حيث أن الواقع المضاد للرغبات يتحول في لعب الطفل إلى واقع لإشباع تلك الرغبات , وأن هذه العملية تشبه ما يفعله الفنان عندما يحاول أن يصنع عالما خاص به من خياله يصلح فيه الواقع ويعوض عنه , والإبداع يشبه التخيل لأن التخيل عند المراهق يعادل اللعب عند الطفل حيث أن المتخيل

يصوغ بالتخيل عالما محوره الأنا , كما أن الإبداع يشبه الحلم من حيث أنه انفلات من الرقابة ومن حيث أن الصور فيه رمزية لها ظاهر ولها باطن , وقد ركز النقد النفسي على هذا الجانب بشكل خاص جانب ارتباط الإبداع الفني والأدبي بالحلم من حيث أن كلا منهما يمثل انفلاتا من الرقابة وهروبا من الواقع .

مناطق النفس البشرية

قسم فرويد النفس البشرية إلى ثلاث مناطق هي :

١- الأنا (Ego) : وهي الجانب الظاهر من الشخصية , وهي شعورية أي أن مكوناتها يمكن الشعور بها أو بأثارها , وهي منطقة خلقية تميل تصرفاتها في حدود المبادئ الخلقية التي يقرها عالم الواقع , وهي تتصل بعالم الواقع لتحقيق النزعات الغريزية وهي تغفل أثناء النوم .

٢- الأنا العليا (Super ego) : وهي الذات العليا التي تمثل القوة القاهرة الرادعة والتي تمثل مجتمع العادات والتقاليد التي تتكون عند الإنسان منذ الطفولة , وهي لا تكف عن قول (احذر , مكانك , إياك) , وهي الناقد الخلقي الأعلى الذي يشعر الأنا بالخطيئة .

٣- الهو أو الهي (id) : وهي قوة جموح تجتمع فيها الغرائز والشهوات التي تزين الهوى للانا , وهي لا تتجه وفق المبادئ الخلقية وإنما تسير على قاعدة تحقيق اللذة والابتعاد عن الألم , وهي لا تتقيد بقيود منطقية , ومن مركباتها النزعات الفطرية الوراثية والمكبوتة , وأهم هذه المركبات بحسب فرويد هي النزعة الجنسية , ومن أهم خصائص هذه المنطقة أنها لا شعورية .

على وفق ما تقدم يصبح الفن طبقا لهذا الاتجاه النقدي هو كالحلم من عمل اللاشعور واللاشعور هو خاصية منطقة الهو التي لا تعمل وفق المبادئ الخلقية ولا تتقيد بقيود منطقية ومن مكوناتها النزعة الفطرية الوراثية التي أهمها النزعة الجنسية حيث يصبح الفن صدى في أصله الأصيل لتلك النزعات الجنسية , فالفن تدفع إليه أسباب هي الأسباب التي تدفع إلى الحلم , ويحقق من الرغبات المكبوتة في اللاشعور ما يحققه الحلم , وهو كذلك يتخذ من الرموز والصور ما ينفس عن هذه الرغبات ويخلق بين هذه الرموز والصور علاقات بعيده وغريبة , الفن أذن كحلم الحالم والحلم بحسب فرويد هو التحقق المتنكر لرغبة مكبوتة , وآليات عمله كآليات عمل الأحلام فالفنان شخص يحلم والصور تتبدى له كالصور التي تتبدى للحالم رموز لمكونات اللاشعور الذي ينطلق منه الفن الأصيل .

الآراء النقدية للمنهج النفسي

١- العنصر النفسي عنصر أصيل في العمل الفني فهو تجربة شعورية بل هو استجابة لمؤثرات نفسية معينة وهو صادر عن مجموعة القوى النفسية المختلفة .

٢- ان استجابة المتلقي للعمل الفني هي عنصر نفسي ايضا وما الاعجاب الذي يستقبل به العمل الفني عن المتلقي والاستهجان الذي يلقاه في المقابل عند ملتقي آخر إلا لارتباطه بسبب نفسي عند هذا وذاك , وأن من فروع هذا المنهج النقدي الاهتمام بسيكولوجية المتلقي مثل الاهتمام بسيكولوجية المبدع على حد سواء

٣- أن اللاشعور الذي هو من خاصية منطقة الهو هو المصدر الحقيقي للإبداع الفني والإبداع الفني المتميز هو انتاج غير واع , حيث يصبح العمل الفني أكثر قربا من اعماق نفسه إذا تم في حالة لا شعورية لأنه في هذه الحالة يؤدي غرضه بالنسبة للفنان .

٤- يزعم الفرويديون ومن وافقهم أن هناك علاقة بين الفن والمرض العصبي وأن الفنان شخص غير سوي مريض مصاب بالعصاب مختل الاتزان وأن الفن نتاج جانبي لهذا المرض والاختلال .

٥- بما أن الفنان إنسان مريض وهو عصابي عنيد فأنه معرض للانهيار والتمزق ومعرض للجنون لكنه يمنع نفسه من أن تتمزق بعمله الإبداعي .

٦- الفن وليد اللاشعور وهو عند فرويد تعبير عن حالة اللاوعي الفردي ولكنه عند يونج تعبير عن اللاوعي الجمعي وهو يرى أن اللاشعور مستقر يحتفظ فيه العقل بماضي جنسه وحقائق حياته قبل النشأة الأولى .

٧- يرى فرويد أن الفن تعبير مقنع وأنه تحقيق لرغبات مكبوتة وهو يحتوي على معنى ظاهر ومعنى مضمر تماما كالحلم وهو يمثل انعكاسا لنفسية المبدع لبواعث لا يشعر بها .

٨- الروايات والمسرحيات ولاسيما القصيرة منها في هذا الاتجاه النقدي أقدر من القصائد على الاستجابة لما يطرحه من آراء وافكار لذلك يفضل النقد النفسي التعامل معها , حيث اقتبس فرويد بعض افكاره من اعمال مسرحية وروائية من أبرزها مسرحية (أوديب ملكا) ومسرحية (هاملت) ورواية (الأخوة كارامازوف) .

٩- النقد النفسي هو نقد تفسيري لا يعنى بتحليل العمل الفني وبيان قيمته الفنية والجمالية ولكنه يعنى بتفسيره واستنباط الدلالات النفسية التي يحتويها .